

مختارات آباءية حول الكتاب المقدس

• القديس إيبوليتس

في الفردوس كانت توجد شجرة المعرفة وشجرة الحياة. واليوم أيضاً قد نُصبت شجرتان في الكنيسة: الناموس والكلمة؛ لأن معرفة الخطيئة قد أتت بالناموس، أمّا بالكلمة فقد أُعطيت الحياة ومُنح غفران الخطايا.

• أوريجانوس

علينا أن نُحيط علماً بأن البواكير والثمار الأولى ليست الشيء نفسه، إذ تقدّم البواكير بعد الحصاد وأمّا الثمار الأولى فقبله. وعليه، فليس من الخطأ القول بأن بين الأسفار المنقولة إلينا عبر التقليد والمعتبرة إلهية في كنائس الله كافة، يشكّل ناموس موسى الثمار الأولى والإنجيل البواكير؛ إذ بعد كلّ ثمار الأنبياء الذين تعاقبوا إلى الربّ يسوع بزغ "الكلمة" الكامل. فالعهد القديم كله إنما يشكل بداية للإنجيل. بل إن الكتاب المقدّس كلّه إنجيل؛ فإن كان الإنجيل تبشيراً بالخيرات وإن كان جميع مَنْ سبقوا حضور المسيح بالجسد قد بشّروا بالمسيح الذي هو كل الخيرات، فأقوالهم جميعاً تشكل إذاً قسماً من الإنجيل بطريقةٍ ما. وإن كان المخلص يُعيدنا إلى الكتب (أنظر يو 5: 19) لأنها تشهد له، فهو لا يُعيدنا إلى هذا دون ذلك، بل إلى كلّ الكتب التي تبشّر به. ذلك أن كلّ التعليم الذي وصلنا في شأنه قد أُجمل في كلّ واحد.

• القديس باسيليوس الكبير

القول بأنّ ثمة عبارة باطلة في الكتاب هو تجديدٌ رهيب. الأسفار المُلهمة كانت كافية لبسط الحقيقة. من أراد أن يفهم فكر كتاب الوحي [الإلهي] عليه أولاً أن يرحض نفسه ويطهرها بقداسة السيرة، وأن يقتدي من ثمّ بالقديسين أنفسهم؛ وذلك في سلوك مماثل لسلوكهم.

• القديس مرقس الناسك

إن من لا يعتبرون أنفسهم مدينين بالنسبة إلى كلّ وصية من وصايا المسيح إنّما يقرؤون شريعة الله بطريقةٍ جسديّةٍ دونما فهم، لا لما يقولون ولا لما يؤكّدون بشدّة (أنظر [تيم 1: 7]).

• القديس رومانوس

لنفتش في الكتاب المقدّس عمّا يهب من النعمة وعمّا يتضمّن من المعنى، إذ إنّ الدليل الذي يُفضي بالجميع إلى الرجاء الذي لا يبلى: هذه هي فائدة كلّ الكتاب الموحى به من الله. فلنخرنّ إذاً عند قدمي

المسيح مخلصنا ولنصرخُ إليه بورع قائلين: "يا ملك الملوك ومحَبّ البشر، امنح المعرفة للجميع، وأرشدنا في سبيل وصاياك لنعرف طريق الملكوت، إذ هي التي نصلو إليها لكي نكون لنا أيضاً الإكليلُ غيرُ الفاسد.

• القديس يوحنا كاسيانوس

يجب أن تكون لدينا الحمية في حفظ مجموعة الأسفار المقدسة، وأن نستعيدنا في ذاكرتنا بلا انقطاع. إذ فيما يكون الانتباه منشغلاً بالقراءة والدرس، لا يعود للأفكار السيئة سبيلٌ من بعدُ إلى أسر النفس في شباكها. ولكن، إن كنتم تبتغون التوصل إلى معرفة حقيقية للكتب [المقدسة]، فعجلوا أولاً إلى اكتساب تواضع قلبٍ راسخ. فهو الذي يقودكم، لا إلى العلم الذي ينفخ (أنظر 1كو8: 1)، بل إلى العلم الذي يُنير بإتمام المحبة؛ إذ يستحيل على النفس غير المطهرة أن تفوز بهبة العلم الروحي... واحرزوا بأبلغ الاهتمام شأناً من أن تصير حميتكم للمطالعة سببَ هلاك بادعائات باطلة.

• القديس إيلاريوس

إن حياة الإنسان وفكره يظلان في الضلال، أو بالحري في ليل عدم الإحساس، ما داماً ملطّخين بمعاشرتهما للجسد، ويبقيان من ثم في لجة الجهل بسبب ثقل الطبيعة التي يمتزجان بها... ولكن، كلما استنار المرء بكلام الله، كلما صار غير قادر على تحمل ظلمات الجسد هذه وليل هذا العالم. وعليه، فلا ندع هذا التعليم وهذا الكلام الإلهي اللذين تلقيناها فينا بلا استعمالٍ وبلا جدوى كما لو تحت "المكيال" (انظر متى5: 15)، بل لننشر هذا النور في نفوسنا أولاً، ثم في جميع الأمم من خلالنا... وفي كل خطوة تقوم بها نفسنا، لنستعمل كلام الله كسراج، ولكن كسراج "موقد" دوماً، ومعدّ دوماً بفظنتنا للقيام بمهمته.

• القديس سارافيم ساروفسكي

تتغذى النفس بكلمة الله وعلى الأخص بمطالعة العهد الجديد والمزامير. يجب أن نقرأ الإنجيل ورسائل الرسل واقفين أمام الأيقونات المقدسة، بينما يمكننا أن نقرأ المزامير جالسين. إن الذهن يبتهج ويستنير من دراسة الكتاب المقدس.

يجب أن نمرّن الذهن على الهذيق بناموس الرب حتى نرتب حياتنا بإرشاده. مفيدٌ جداً أن ندرس كلمة الله بانتباه وفي الهدوء. بانشغال كهذا مرتبط بالأعمال الصالحة لن يحرمننا الله رحمته. عندما تلهج النفس بناموس الرب تمتلئ من موهبة تمييز الخير من الشر.

عندما تتمُّ دراسة كلمة الله في الهدوء يغرق الذهن في حقائق الكتاب المقدّس، ويتقبَّل القلب دفناً إلهياً. الشيء الذي إذا تمَّ في الوحدة يجلب الدموع. هذه الأشياء تدفئ الإنسان كله وتملؤه بمواهب روحية تبهج الذهن والقلب بما لا يعبرُ عنه. وبشكل خاص أن يشدّد على الدراسة لكي يمتلك سلام النفس بحسب قول المزامير "سلام عظيم للذين يحبون ناموسك" (مزامير 118: 165).

يعلم القديس اسحق السوري: "قبل أن يتقبل المؤمن المعزي يحتاج للنصوص المقدّسة حتى يتجدد داخله لكثرة الدرس وينجذب للعمل الصالح وتحفظ نفسه من طرق الخطيئة. إنه يحتاج للنصوص المقدّسة لأنه لم يحصل بعد على قوة الروح القدس وعندما تنزل قوة الروح القدس في النفس تتربى النفس سريعاً من الروح، ولا تحتاج لمساعدة من أي شيء محسوس".

• عن الأب أشعيا

إن حبَّ الاستطلاع في الكتاب المقدّس يوّد العداوة والمخاصمات، أما البكاء على الخطايا فيجلب السلام.

خطيئة على الراهب أن يجلس في قلايته ويهمل خطايا باحثاً في الكتاب المقدس بروح فضولي. إن من يترك قلبه يبحث في أمور الكتاب المقدّس ويرجّح بين كذا وكذا قبل أن يقتني المسيح في ذاته، لا شك أن قلبه فضولي ومسلوب إلى أقصى الحدود.

إن من يسهر على ذاته بغية النجاة من السلب يفضل رمي نفسه أمام الله بصورة دائمة. لا تبحث في الأمور الإلهية السامية طالما أنك تصلي وتطلب من الله العون لكي يفتقدك ويخلصك من خطيئتك. إن الأمور المنوطة بالله إنما تتحقق وحدها متى أصبح المكان (أي القلب) نظيفاً وطاهراً.

من اتكل على معرفته الخاصة وتشبث بإرادته يقتني لنفسه العداوة ولا يعود في إمكانه أن يتملص من الروح الذي يوّد الحزن لقلبه.

إن من ينظر إلى أقوال الكتاب المقدس ويطبقها حسب معرفته، معتبراً نفسه بهذه الطريقة، قد أدرك عمقها، لا شك أنه يجهل مجد الله وغناه.

أمّا من ينظر إليها ويقول: أنا إنسان لا أعرف، فإنه يقدم مجداً لله، وغنى الله يفيض عليه حسب فكره وقدرته.